مجلة الآداب و اللغات المجلد 10 / العدد 03 رمضان 1445 هـ الموافق لـ: مارس 2024

نسق المسكوت عنه في السّرد القصصي الجزائري- "السّفر الرّجيم" لمسعود ناهلية أنموذجا.

The untold in the Algerian storytelling - "Accursed Travel" by **Messaoud Nahiliia**as a model.

محمد جعيدي[1]

مصطفى ولاش♣

تاريخ الإرسال: 25-12-20223	تاريخ القبول: 17-02-2024	تاريخ النشر: مارس 2024

الملخص:

نحاول من خلال هذه المداخلة اقتفاء أثر المسكوت عنه في السرد القصصي الجزائري، وذلك نظرا للتّحول الذي يشهده هذا الجنس الأدبي، فقد أصبح في نسخته المعاصرة يحاول جاهدا مسايرة النموذج الاجتماعي بكل ما يحمله من تجاذبات على مستويات عدّة، وبالنّظر لطبيعة المجتمع الجزائري الذي تكمن خصوصيته في كونه لا يصرّح مباشرة بما يصبو إليه، سواء على مستوى الواقع الاجتماعي، أو على مستوى الإبداع الأدبي، وعلى هذا الأساس سنعمل على تفكيك مجموعة قصصية للأديب والباحث الجزائري " **مسعود ناهلية**" الذي تمكن من خلال عمله الأدبي " السفر الرجيم" من تمثّل خصوصية المجتمع الجزائري والغوص في تفاصيله ليفصح لنا عمّا يستبطنه هذا المجتمع الغني بتاريخه، وثقافته، ومعاناته، وثوراته، مستعينين في ذلك بالآليات التحليلية للنقد الثقافي، للإجابة عن تساؤل محوري مفاده: كيف تمكن السّرد القصصي الجزائري من تفكيك بنية المسكوت عنه على مستوى المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: القصة الجزائرية؛ المسكوت عنه؛ السفر الجيم؛ السلطة؛ النسق.

Abstract:

Through this intervention, we try to trace the untold in the Algerian storytelling, due to the transformation witnessed by this literary genre, as it has become in its contemporary version trying hard to keep pace with the social model with all its tensions at several levels, and given the nature of Algerian society, whose peculiarity lies in the fact that it does not directly declare what it aspires to, whether at the level of social reality, or at the level of literary creativity, and on this basis we will work to dismantle a collection of stories by the Algerian writer and researcher. **Messaoud Nahiliia**"Through his literary work "Accursed Travel", he was able to represent the specificity of Algerian society and dive into its details to reveal to us what this society rich in its history, culture, suffering, and revolutions undertakes, using the analytical mechanisms of cultural criticism, to answer a pivotal question: How did Algerian storytelling manage to dismantle the structure of the untold at the level of Algerian society.

Keywords: Algerian story; untold travel; power; format.

djaidi.mohammed@univ-medea.dz[1]

♣moustaphaoullache@gmail.com

إن القصة القصيرة الجزائرية مرّت بمراحل عدة، من البدايات الأولى لها أو مرحلة التّشكل إلى غاية مرحلة النّضج والاكتمال. وإن كان بعض الدارسين يرجعون بدايات القصة القصيرة الغربية من حيث الحجم الشكّل الفني إلى القرن الرّابع عشر في روما، وبالتحديد إلى قصر الفاتكان وإحدى حجراته الفسيحة والتي كانوا يسمونها : " مصنع الأكاذيب "والتي كان يتردد عليها بعض سكرتيري البابا وأصدقاءهم قصد اللّهو والتسلية وتبادل الأخبار.. هناك كانت تخترع وتقص النوادر الطريفة عن رجال ونساء إيطاليا.[1]. فإن المشتغلون على القصة الجزائرية يرجعونها إلى بدايات القرن العشرين، فالدكتور عبد الملك مرتاض (رحمه الله تعالى) على سبيل المثال يذهب إلى أن قصة فرانسوا والرشيد لسعيد الزّاهري هي فاتحة القص الجزائري، هذه القصة التي نشرت بجريدة الجزائر سنة 1925وقد أفصح عن ذلك بقوله بقوله " إن أول محاولة قصصية عرفها النثر الحديث في الجزائر تلك القصة المثيرة التي نشرت في جريدة الجزائر"[2]. ولعلّ القصة على قصرها يمكنها أن تحمل دلالات كثيرة على اعتبار أن النصوص القصيرة في الأدب عادة ما تكون مكثّفة في طرحها، وتحمل بين ثناياها حمولة دلالية تفوق تلك التي يمكن أن تحملها رواية مطوّلة، وعليه ارتأينا أن نبحث فيما تثيره بعض القصص القصيرة التي أوردها القاصّ الجزائري " مسعود ناهلية" في مجموعته القصصية" السفر الرجيم" والتي بعد اطلاعنا عليها وجدنا أنها تتماشى وتيمة المسكوت عنه في السرد الجزائري المعاصر.

كما يبدو في بادئ الأمر أن البحث في المسكوت عنه هو تفكيك لما وراء الخطاب، أو بحث في ما وراء الطبيعة، باعتباره مفهوما جامعا تتدخّل فيه سياقات عدة، وربّما هذا ما يقودنا نحو البحث في خطاب من خطابات السّرد الجزائري والمتمثل في القصة الجزائرية المعاصرة، فالتقابل بين المسكوت عنه والخطاب يبدو تقابلا بين متناقضين، فالسكوت عنه منسوب إلى السكوت وهو احتباس الصوت وانقطاع الكلام، والخطاب كلام بالمفهوم اللغوي، أي اللغة في الاستعمال، بينما يحتمل الكلام ألوانا وضروبا تقودنا نحو متاهات ودهاليز معنوية ودلالية عميقة.

وعليهسنحاول من خلال هذا البحث تتبع أثر المسكوت عنه في القصة الجزائرية من خلال أنموذج يتسم بالجدة والمعاصَرة، وذلك نظرا للتّحول الذي يشهده هذا الجنس الأدبي، فقد أصبح في نسخته المعاصِرة يحاول جاهدا مواكبة النموذج الاجتماعي بكلّ ما يحمله من تجاذبات على مستويات عدّة،

وبالنّظر لطبيعة المجتمع الجزائري الذي تكمن خصوصيته في كونه لا يصرّح مباشرة بما يقصده من خطابه، سواء على مستوى الواقع الاجتماعي، أو على مستوى الإبداع الأدبي، وعلى هذا الأساس سنعمل على تحليل مجموعة قصصية للأديب والباحث الجزائري " **مسعود ناهلية**" الذي استطاع من خلال عمله الأدبي " السفر الرجيم" من تمثّل خصوصية المجتمع الجزائري والغوص في تفاصيله ليفصح لنا عمّا يزخر به هذا المجتمع الغني بتاريخه، وثقافته، مستعينين في ذلك بالآليات التحليلية للنّقد الثقافي، للإجابة عن تساؤل محوري مفاده: كيف تمكّن السّرد القصصي الجزائري من تفكيك بنية المسكوت عنه على مستوى المجتمع الجزائري، وذلك من خلال تقديم مفهوم وظيفي حول المسكوت عنه والمواضيع التي يمكن أن يلمسها، ثم بيانانسق المسكوت عنه في "السفر الرجيم"، وبعده الكشف عن كيفية تداخل الأنساق الثقافية المختلفة في تشكيل المسكوت عنه في السرد الجزائري على مستوى بعض النماذج القصصية التي وردت في المجموع المذكورة سلفا.

2.في مفهوم المسكوت عنه.

قبل التّطرق لمفهوم المسكوت عنه في مجال النّقد الأدبي، وجب الإشارة إلى وروده في علم أصول الفقه فهو يحيل على" ما دلّ عليه اللّفظ لا في محل النّطق، وبعبارة أخرى: هو دلالة اللّفظ على حكم شيء لم يذكر في الكلام أو إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت عنه، لا ضدّه، ويسمّى بالدّلالة المعنوية أو الدّلالة الالتزامية. ودلالة المفهوم من باب دلالة

الالتزام"[3]، من الملاحظ أن دلالة المسكوت عنه تسير بنا إلى ما لم يُذكر، وما يفهم من السياقات وهو ما سنجده في الدلالة التي يحملها في ميدان النقد الأدبي وهو ما سنركز عليه، باعتباره موضوع الدراسة.

يتضمن هذا المفهوم مجموعة من الأنساق المتداخلة فيما بينها، ولا يمكن الإحاطة به بسهولة كونه يبحث في الأنساق المضمرة التي تتطلّب جهدا فكريا للكشف عنها، ولعلّ ما يساعد في البحث في هذا المجال هو إمكانية تقسيم، أو تحديد مجال البحث في عناصر تضبط حدود المفهوم إلى حدّ ما، لذا ارتأينا الكشف عن المسكوت عنه بمساءلة النّصوص من خلال:(التّاريخ، الدّين، المجتمع، السّياسة، الجنس، الجسد، الهوية، المركز، الهامش.)، ويرتبط المسكوت عنه غالبا بالمضمر والمخفي من النصوص، ولكشف هذه المضمرات خاصة الإيديولوجية منها يجب الإحاطة بالسياق التّاريخي المصاحب لزمن الكتابة، كما ينبغي على الناقد قراءة النص قراءة عكسية بحيث يبني إشكالية للنّص انطلاقا من الأجوبة التي تقدمها القصة أو الرواية [4]، ويقصد بهذا قراءة الرواية قراءة نقدية، ثم بناء تصور شامل لمقصديتها والرسالة التي يود الروائي تضمينها في عمله السردي، وبعدها محاولة طرح الإشكالية التي انطلق منها الكاتب بداية، وهنا يكون القارئ مساهما رئيسيا في إنتاج المعنى وإثراء النص الأدبي، بالقراءة المنتجة والواعية التي تنطلق من وحي الواقع الذي نشأ فيه النص الأدبي.

ومنه فـ"إن مفهوم المسكوت عنه ليس نظرة أدبية أو نقدية ولا هو بمنهج في التحليل ولكنه آلية قرائية تعتمد على مقولتي النّسق والبيان حيث هو في النهاية فعالية النّص في قدرة الإخفاء بتقنيات خاصة لتفادي سلطة ما"[5]، بما أن اللّغة الأدبية في أصلها تُبنى على التّعمية وإلباس المعاني ثوب التّلميحات، فإن المعاني المأخوذة من النصوص الأدبية في الإجمال، من الطبيعي أن تحمل جوانب وإشارات تحيل إلى دلالات مخفية خلف ستار يتم الكشف عنه باستنطاق النص الأدبي بوسائل يمتلكها النّاقد المتفحص، الذي يملك بعد نظر وثقافة واسعة في مجال بحثه، يتقاطع هذا الطّرح مع ما قدمه **أمبرتو إيكو** لمفهوم المسكوت عنه حيث اعتبره" عدم الظهور على السطح، وفي مستوى العبارة، ولكن هذا المسكوت عنه هو الذي يجب تحقيقه في مستوى تحقيق المضمون بالضبط، وهكذا فإن النص هو الأكثر تمظهرا من كل رسالة أخرى يتطلب حركات متآزرة حية وواعية من طرف القارئ"[6]، معنى هذا أن القارئ يشارك بصفة جلية في صناعة المعنى، ويشترط في هذا المتلقي لمثل هذا النوع من الخطابات أن يتحلى بقدر من الفطنة والوعي، ليتمكن من الوقوف على المعاني والدلالات الضمنية والخفية التي تتوارى خلف السياجات التي يسيج بها الكاتب نصه، كلّ هذا ننظر إليه من باب ما ينجر عن ممارسة السّلطة في كل أشكالها للقمع المعلن والخفي على الإنتاج الأدبي.

من الواضح أن القصة العربية في خضوعها لتأثيرات السلطة الممثلة في (الدين، المجتمع، السياسة، التاريخ) ستلجأ إلى السّكوت عن عدة قضايا تلامس الواقع، لكنها وجدت لنفسها منفذا يمكّنها من تمرير رسائل مشفرةّ، معتمدة على الرّمز والإيحاء، انطلاقا من العنونة، مرورا بتسمية الشخصيات، وصولا إلى اعتماد الأسلوب السّاخر الذي يتم تضمينه حمولة إيحائية ورمزية تمكّن الدارس للرّواية من الإمساك بخيط المسكوت عنه، وفكّ مضمرات العمل الأدبي للقارئ، وبهذا يحدث التّكامل بين العمل الأدبي والعمل النّقدي، والحديث عن المسكوت عنه يقودنا أوّل الأمر إلى الحديث عن الجنس من منطلق الخلفية الثّقافية للفرد العربي خاصة.

1.2 نسق المسكوت عنه في "السّفر الرّجيم":

تجدر الإشارة بداية إلى أن الكاتب يصرّح في مقدّمة مجموعته القصصية بأنها ترتبط ارتباطا مباشرا بالواقع - سواء تجاربه الشخصية، أو أحداث رافقت كتابته لهاته القصص – التي حيث يقول" كُتبت هذه القصص على فترات متباعدة نسبيا، اختلفت فيها التجارب والمحطات، منها الفردي والاجتماعي، والسياسي. منها ما يعود إلى الثمانينيات من القرن الماضي، ومنها ما هي ابنة اليوم. وأغلبها منشور بالصحف الوطنية، تلتقي جميعها في حس درامي وقلق وجودي في واقع غير مستقر"[7] ، هذا التصريح نعتبره مسوِغا لدراسة المسكوت عنه في هذه النماذج الواردة في المجموعة، على اعتبار

هذه التيمة المقصودة في الدراسة ترتبط ارتباطا وثيقا باواقع، فكما أشرنا بداية في التقديم المفاهيمي للمسكوت عنه فهو على علاقة وثيقة بأمور أساسية وهي(الواقع، الدين، السياسة، الجنس، السلطة، المجتمع، التاريخ، وغيرها) بحيث نجد كل هذه المواضيع مقصودة في القصص الواردة، وهذا باد جليا بداية على مستوى العنونة وفيما يلي سنقوم بتصنيف العناوين وإحالتها عبى الموضوع الذي يمكن أن ترتبط به وتتعالق فيهمع تيمة المسكوت عنه:

العنوان	الصنف	الرابط والعلاقة
حديث إلى الله	**الدين /التاريخ**	يحيل العنوان وكذلك المضمون على عدة أمور يودّ الفرد الجزائري على وجه الخصوص السكوت عنها وهي من باب الاختصار (الخيانة، القيم، الثورة، الاستشهاد، الصدق، الاستعمار...)
السيجارة الأخيرة	**المحتمع**	تحاول هذه القصة الغوص في عمق المجتمع من باب سرد بعض تفاصيل علاقات عابرة، خاصة تلك التي تنشأ في محيط الشغل، وما تنجر عنه مثل هذه العلاقات من تجاذبات ونفاق اجتماعي يدخل ضمن ما يُحس ولا يقال
الريح والمقصلة	**السلطة**	تحاول هذه القصة الخوض في المسكوت عنه السياسي المرتبط بالسّلطة في شكلها المؤسساتي، وينقد من خلالها الشرعية السياسية، وبعض التصرفات التي تصدر عمّن يمتلكون زمام هذه السلطة من خلال بيان أفعالها في صورة (شرطة، هيئات نظامية..)
المنفى ينتهي غدا	**السياسة/ التاريخ**	تسجل هذه القصة أحداثا مرتبطة بالتاريخ (النفي الذي حصل أيام الاستدمار الفرنسي للجزائر) وما ينبثق عنه م حكايات تخاطب الجانب الوجداني، بغية تحريك خيط المشاعر والتي تنزوي ضمن الأمور التي يتحاشى المجتمع الجزائري التعبير عنها لذا يمكننا تصنيف بعضها ضمن دائرة المسكوت عنه.
		يمكن إدراج هذه القصة كذلك ضمن دائرة المسكوت عنه من باب تطرقها لموضوع العلاقات الأسرية والحنين الذي يطال من تمكّنت منه يد المستعمر ونفته سواء خارج الوطن او أجبرته

غربة	**التاريخ السياسة**	على مغادرة مسكنه خوفا من الاغتيال أو السجن.
السفر الرجيم	**المجتمع**	يلامس القاص من خلال هذه القصة الواقع في معظم تجلياته فهو يقدّم صورة حقيقية عن طريق سرد أحداث نراها يوميا، لكنه يغلّفها بعبارات تبوح –عند تفكيكها- بعدة أنساق مسكوت عنها.
الهاديار	**قلق وجودي**	تطرح هذه القصة أسئلة وجودية ترتبط بالحياة اليومية لموظف بسيط، فيجول بنا معه في أوقات شغله، وأوقات فراغه وجدوى علاقات العاطفية والأسرية، وفي خضم هذا الزخم يمكن تلمس بعض الأسرار التي تبوح بها عبارات مفعمة بالدلالات العميقة.
رائحة العار	**الدين/المجتمع**	تجنح هذه القصة نحو طرق موضوع القيم التي بدأ يفتقدها المجتمع بدءا بفئة الصبيبة الصغار، مرورا بمرحلة الشباب وما تحمله من مغامرات وشطحات تصنف في خانة المحظور سواء الديني أو العرفي، كما تحمل في طياتها نقدا موجّها للأسرة وفي طريقة تعاملها فيما يخص تربية الأبناء واحتضانهم من قبل الشارع.
السفر الأخير	**الواقعية/ الوجودية**	يرتحل بنا القاص هذه المرة بين دهاليز نفسية أحدهم الذي ربطته به ذات يوم علاقة زمالة في العمل، ويدرج العديد من الأنساق الاجتماعية ضمن حواره المتشعب المواضيع الذي يجمعه بصديقه، ومن خلال هذه الحوارات يمكن استقاء ما يندرج ضمن المسكوت عنه.
توبة متأخرة	**الدين/ المجتمع**	حمّل الكاتب مسعود ناهلية هذه القصة نسقا دينيا يجمع شتات أحداثها، ثم راح يزرع فيها نفسا اجتماعيا وقيميا، طرح فيه قضية الندم على ما يمر من حياة الإنسان، وعن تلك التأملات التي يصير إليها الفرد حين يتبدل حاله، ويحس بدنوّ أجله.
		يطرح الكاتب ضمن هذه القصة عدّة قضايا متعلقة بالسياسة (الحملة الانتخابية، العلاقات، الوعود الكاذبة، المؤسسات الوطنية وغيرها) لينتهي بالشخصية التي حملها كل ما سبق بالجنون والغوص في دهاليز المجهول، في إشارة منه إلى

لعنة الشهادة	**السياسة**	مصير من يمارس طقوس السياسة العفنة في بلد كالجزائر.
تغريبة أولاد رحمون	**الواقع/ التاريخ**	تصف القصة حقبة تاريخية ليست بالبعيدة في المقام الأول، وتقدم نقدا لاذعا للسلطة التي عملت على تهميش القرى والمداشر بشكل مهين.
اغتيال	**أسئلة وجودية**	تحملنا هذه القصة إلى سرير أحد المرضى المبشر بلقاء ربه، وتأخذنا معه من خلال وصف ردود أفعاله والإنكار الذي يعتريه عند تلقيه إمكانية وفاته، وفي خضمّ هذا تخل عناصر أخرى (الوصية، الإخوة، الميراث، الزوجة...) وتتفاعل الأحداث المتنامية بسرعة لتنتهي بمصير مجهول ونهاية مفتوحة للقارئ واسع لخيال لإتمامها.
بلاغ الرحم	**المجتمع**	تحمل هذه القصة دلالات عميقة تتلخص في النهاية في مقولة: " الوطن في خطر.. أحبوا بعضكم بعضا.. تناغموا كأنغام القيثار. رغم أنها منفردة إلا أنها تصنع مجتمعة حياة وجمالا وألحانا فيحب الوطن"[8]
في حديقة الموت	**الواقع/ المجتمع**	يأخذنا في هذه القصة معه إلى سريره الذي انتظر فيه إجراء إحدى العمليات، في أحداث مشبّعة بالمشاعر والتأملات الوجودية، تحيل القارئ دون أن يشعر لطرح العديد من الأسئلة التي تنتابه عندما يحسّ باقتراب الأجل...، ثم يبعث الأمل من جديد في نفس القارئ عندما يعود مجدّدا للحياة،

([9])

تعمل معظم الأقاصيص الواردة في المجموعة وفق آلية جعل القارئ يطرح جملة من الأسئلة؛ منها ما هو متعلق بالمجتمع، " أين أنتم يا جيران؟ أليس لهؤلاء من يرعاهم؟... لماذا يصرّون على الإزعاج والإفساد ؟ يا للإفلاس... يلدون ويرمون."[10]، يشير في هذه السلسلة من الأسئلة مباشرة نحو انحراف شديد على مستوى الأسرة الجزائرية، ويضع يده على الجرح مباشرة، وذلك من خلال فضح الأخلاق التي تربى عليها الجيل الصاعد، وما تسبّب في ذلك من إهمال لدور الأسرة في تربية الجيل الجديد من الصبية، وما انجرّ عن هذا الانحراف من فساد عمّ المجتمع، وتكون نتائجه واضحة على المدى البعيد، إذ أنّ الفساد عندما يمسّ فئة الأطفال الصغار تكون المصيبة أكبر منها عندما يمس الكبار، فالكبار إلى زوال عن قريب، أما الصغار فهمك مستقبل الأمة والمعول عليهم في التحديات المقبلة،

ومن الأسئلة المطروحة كذلك ما هو مرتبط بفلسفات وجودية، ونجد كذلك ما يتعلّق بالنقد السياسي، ، فالسلطة السياسية ينجر عنها مسكوت عنه سياسي، وهذا ما يتجلى في العديد من النصوص السردية في السرد الجزائري الحديث والمعاصر على حدّ سواء، ويتجلى كذلك في النماذج التي بين أيدينا " ويمكن القول إن البنية الروائية بكاملها محكومة بفاعلية قوى القمع السياسي التي تحرك الحدث الروائي الذي هو في الجوهر تجربة تراجيديا تنتقل من المأساة الفردية للبطل إلى المأساة الجماعية لأسرة بكاملها، ضمن سياقات التناقض الفاجع بين ما هو واقعي وما هو حلمي أو بين الفكري والإيديولوجي..."[11]

من المبالغ فيه أن نحكم على البنية الروائية على أنها محكومة في مجملها بقوى القمع السّياسي، بحكم وجود سلطات أخرى تمارس فاعليتها على البنية السّردية ولكل سلطة تأثيرها المباشر أو الخفي على النّص السّردي، كل من قوى القمع هذه تجعل من النص يسكت عن أمور وحقائق خوفا من العقاب الّذي يمكن أن يقع عليه من إحداها.

3. تداخل الأنساق الثقافية في تشكيل المسكوت عنه في السرد الجزائري.

يمكن بناء على تفكيك الأنساق الثقافية المبثوثة في نصوص مسعود ناهلية يمكن استخراج آلية تحليل خاصة بالنص السردي حيث سنعمل على الانطلاق من الخصوصيات التي يتميز بها المجتمع الجزائري بغرض الوصول إلى نتائج موثوقة تتسم بالموضوعية، حيث نستخلص المسكوت عنه السياسي من خلال إبراز تفاعلات الشخصيات الواردة في القصص محل الدراسة مع السلطة السياسية، باعتبارها المصدر الذي يمارس سلطة الرقابة وبيده أدوات العقاب، هذه الضغوطات التي تماسها السّلطة السياسية تؤدي إلى الصّمت المغلف في كثير من الأحيان بإشارات ضمنية تخفي خلفها رسائل مشفرة وفي هذه الحالة" تتحول الكتابة إلى فعل مؤكد للوجود في مواجهة الصمت الذي يمثل نفيا للوجود ذاته. ويفعّل هذه الحركة الداخلية داخل ثنائية الصوت / الصمت، تتفجر محاور الصراع داخل العمل الروائي، وتنهار السيادة المظهرية والخارجية لسلطة الصّمت عن طريق انحلال الثنائية الضّدية وتسيد سلطة الصّوت والكتابة..."[12]، يتضح من هذا أن الكتابة تأتي كردّ فعل على الضغط المفروض على المبدع، بحيث يكون من مهام الضّغط الذي تمارسه السّلطة السّياسية نزوع الكتاب إلى الصّمت، وبوصول الرّوائي إلى مرحلة الكتابة يكون قد تحدّى العوائق التي ترسمها السّلطة بكل تجلياتها، وما يساعد الأديب على تجاوز هذه السّلطات دون عقاب هو ما تتيحه له اللّغة من إمكانيات تمكنه من المراوغة، والإيحاء دون الوقوع في المحظورات في العرف السياسي، والاجتماعي، والدّيني، وعلى هذا فإن الرواية الجزائرية اتخذت من النسق السياسي مطية للتعبير عن نفسها، فقد حظرت المواضيع السياسية في الأعمال الروائية المعاصرة في الجزائر، كونها تمثل صميم الرسالة الأدبية للعمل السردي، وذلك بتضمينها مختلف الأحداث السياسية التي تعبر عن المشاكل الحقيقية والقضايا التي تلامس واقع المجتمع الجزائري بكل أطيافه، والتغيرات التي مسَّت ثنائيات مثل: المركز والهامش، السّلطة والشعب، وهو ما أدى إلى تغيير الرؤية عند الأدباء الجزائريين[13]

ـــ ما الذي يهدد المحطة؟ ومن الذي يهددها؟

ـــ" رئيس المحطة المتواري في برجه، وامتلاك بعضهم لبطاقات النقل المزيفة التي سلمها رئيس المحطة لبعضهم.

أضف إليها، رخص السياقة المزورة. أتركب مع سائق امتلك رخصة السير دون أن يمر بمدرسة تعلم السياقة؟؟

.. تصور ذلك العدد الهائل من المسافرين مع سائق مجنون..

ـــ لم أفهم ..؟؟

ـــ لا بد من مواجهتها .. يجب أن تتوقف قبل فوات الأوان."[14]، لهذا يمكن اعتبار النسق السياسي أحد أهم بواعث الإبداع في الأدب المعاصر، باعتبارها مصدر إلهام يجعل الروائي يطرق مواضيع جديدة، تستدعيها الوضعية السياسية التي تمر بها البلاد وتحمل خصوصية تكتسبها من محاولتها الهروب من القيود التي تفرضها السلطة السياسية.

من هذا المنطلق اكتسى هذا النّوع من المواضيع الأدبية صبغة مليئة بالتجاذبات، فمن جهة تعتبر السّلطة السّياسية من الأسباب التي تجعل الروائي يكتب، وهي بالمقابل تمارس ضغطا على ما يكتبه هذا الروائي، لأن الحياة الاجتماعية مرتبطة بل ما يحيط بها مؤثرات وإيديولوجيات" فإن السياسة كمستوى إيديولوجي، يمارس جدلية بين المثقف والسلطة، يستشري بدوره في أوصال الكون الروائي كأفيون وعقار يخدر مخلوقات المجتمع السردي. ويعاقبها كلما تمردت، وتطاولت وانتهكت محظوراته"[15] هنا تتضح الإشكالية التي تصنع المسكوت عنه السياسي، وتجعل منه أحد أهم مكونات الخطاب السردي المعاصر في الرواية الجزائرية، بحيث يتفاعل الواقع التعسفي الممارس من قبل السلطة السياسية مع النص الإبداعي الروائي فنحصل على نص مليء بالمضامين التي تعبر عن نفسها من خلال آليات مختلفة تتجلى على مستوى لغة الكتابة.

هذه المتداخلات التي نجدها في النصوص السردية التي مررنا عليها ترسبت عبر التّاريخ في المجتمعات العربية بصفة عامة جعلت العادات ترتبط بالدّين، بحيث أصبح الجزائريون يقدّسون بعض الأشخاص من منطلق أنّهم أولياء صالحين، ويمارسون طقوسا حول أضرحتهم معتبرين أنفسهم يقومون بعبادات مفروضة عليهم، هذه التّصرفات تدخل ضمن المسكوت عنه في المجتمع الجزائري، وقد حاولت الرّواية في هذا الصّدد الكشف عن هذه المضمرات والإشارة إليها كلّما أتيحت الفرصة لها، ومن الملاحظ هنا أنّ التّقديس يتعلق في غالبية الأمر بالأماكن "لأن الدّين كمنظومة قيم روحية ومعايير أو مبادئ أخلاقية لا يقوم في النّصوص الشّرعية فقط، بل يقوم أيضا في الأماكن المقدسة كدور العبادة والرّموز والأيقونات الدّينية"[16]، في هذا الاتجاه نجد القصّة الجزائرية المعاصرة تطرح هذه القضية بوضوح وتعالج تبعاتها على المجتمع وتأثيراتها عليه، خاصة في الوقت الرّاهن والذي يشهد موجة من التّحرر الفكري على مستويات عدة، جراء الانفتاح على العلوم والثقافات الأخرى، ومحاولة قراءة الموروث الدّيني بصورة معتدلة. وهذا ما نجده في نماذج عديدة مثل:" وفي مشهد هستيري.. راح يخاطب نفسه: لا بد من فعل شيء ما.. لا بدّ.. لقد أخطأت يا عزوز فيمن رفعوك.. وأما بنعمة ربّك.. وقل اعملوا.. تجري الرياح بما لا تشتهي.. وأما اليتيم فلا تقهر..[17]

وعليه فإنّ الأدب يخضع للمعتقد الدّيني السّائد وللإيديولوجيا في كلّ جوانبه خاصة المتعلقة منها بالمجتمع بكل تشعباته الأمر الذي يجعلنا ننظر للأدب من جميع النّوافذ المتاحة كي نتمكّن من تشكيل تصور ناضج حول أيّ عمل أدبيّ، ولعلّ أوّل أمر يتبادر للذّهن عند التّطرق لجدلية المقدّس في الفكر العربي هو المعتقد الدّيني؛ وما يتضمنه من غيبيات تجعل منه

يسير نحو القداسة، على هذا الأساس قامت الدّراسات الاجتماعية بدراسة الارتباطات التي تجمع بين ما يدور في المجتمع بصفة عامة من دين، وسياسة، واقتصاد.

4. خاتمة:

يمكن القول عند هذا الحد من معالجة جوانب هذا الموضوع، أنّنا خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات الّتي يمكن لها أن تكون مفاتيح يعتمد عليها الباحثون المهتمون بمثل هذه الدّراسات كأرضية بناء لمواضيع تصب في نفس القالب و السّياق و منها:

ـــــ تمكن الأديب **مسعود ناهلية** من خلال استعماله لعالمه الرّمزي الذي أن يلقي على المحيط المادّيّ الذي تدور فيه أحداث الرّوايات أبعادا أكثر عمقًا، أحالت الواقع إلى خليط بين التّاريخ المستحضَر عن طريق إحالات رمزيّة مشبّعة باستدعاء الذّاكرة الجمعية، وبين الحاضر، وهذا انطلاقا من أنّ الرّمز حركيّة ثقافية متأصّلة في النّفس البشرية تسمح بالتّبادل الثّقافي بين الأجيال وتضمن استمرارية اتّصالها زمنيا.

ـــــ من الواضح أنّ التّحولات التي شهدها المجتمع الجزائري ألقت بظلالها على معظم القصص التي أوردها **مسعود ناهلية**، وخاصّة الثّلاث "السفر الرجيم"، " تغريبة أولاد رحمون"، " في حديقة الموت"، واستثماره في النّماذج التي يتيحها المجتمع لأنواع الشّخصيات، خاصّة تلك المهمّشة بغرض جعل المتلقّي يتعاطف معها ويسير معه في التّوجهات التي يذهب إليها، وقد كان ذلك بالتّوازي مع استعماله لتقنية تعدّد الأصوات في السّرد كسمة بارزة وخاصّة قصّة " اغتيال".

ـــــ للكشف عن المسكوت عنه في النماذج المختارة للدّراسة قمنا بالبحث في الفضاءات التي وُظِّفت فيها الشخصيات، كونها تحظى باهتمام كبير بالنّظر للأهمية البارزة التي تكتسيها الشخصية في الدراسات السردية، وبعدها قمنا بالبحث في المسكوت عنه من منظور الدّلالات التي تفرضها السّلطة السياسية، وفي هذا السّياق قمنا بتسليط الضّوء على صوت المهمّشين ودلالة الأمكنة التي تأويهم وما تكتنزه من قيمة رمزيّة، كما قمنا بتتبّع القضايا السّياسيّة المطروحة وكيفية التّعبير عنها من النّاحية الفنّية، وتبعاتها على مستوى المحيط العام للمجتمع المقصود وهو المجتمع الجزائري على سبيل التحديد.

5. الهوامش

[1]- رشاد رشدي: فن القصة القصيرة - دار العودة -بيروت ط2-1975-ص3.
[2]- بن دنيا سعدية، حوار الأديان والحضارات والصراع على المقدس، مجلة مقاربات فلسفية، جامعة ابن باديس، مستغانم، المجلد 5، العدد1، 2018/05/21، ص42.
[3]-وهبة الزحيلي ، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ج1،ط1، 1986، ص361.
[4]-ينظر، فاضل ثامر، المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، دار المدى، سورية، ط1، 2004، ص 11-12.
[5]- المسكوت عنه في الرواية العربية- الكتابة النسائية أنموذجا- مصباحي خولة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 12 ، العدد 3، 2020/11/30، ص83.
[6]- أمبرتو إيكو، القارئ النموذجي ضمن طرائق تحليل السرد الأدبي، تر: أحمد بو حسن، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1، 1992، ص 158.
[7]- مسعود ناهلية، السفر الرجيم، دار ابن مهيدي للنشر، الجزائر، ط1، 2023، مقدمة الكاتب. ص7.
[8]- مسعود ناهلية، السفر الرجيم، مصدر سابق، ص107.
[9]- ينظر، المصدر نفسه، ص 8؛ 111.
[10]- المصدر نفسه، 69.
[11]- فاضل ثامر، المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، مرجع سابق، ص24.
[12]- المرجع نفسه، ص54.

[13]-ينظر، ميلود دزرادي، نجاة عرب الشعبة، الأنساق الثقفية في الرواية الجزائرية المعاصرة (رواية سلالم تروﻻر لـ سمير قسيمي أنموذجا)، مجلة النص، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي، الجزائر، المجلد 8، العدد 1، 2022، ص 134.

مسعود ناهلية، السفر الرجيم، مصدر سابق، ص44.

[15]-محمد الأمين بحري، ثيمة المسكوت عنه في الرواية الجزائرية المعاصرة بين التواصل والقطيعة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الملتقى الوطني: النص الروائي الجزائري ونظرية الفهم، 20/19 نوفمبر 2019، ص9.

[16]- بن دنيا سعدية، حوار الأديان والحضارات والصراع على المقدس، مجلة مقاربات فلسفية، جامعة ابن باديس، مستغانم، المجلد العدد1، 2018/05/21، ص42.

[17]-مسعود ناهلية، السفر الرجيم، مصدر سابق، ص8 50.